مكانة اللغة العربية في المجتمع الجزائري

د. محمد الهادي بن زيادة

ملخص:

تعتبر اللغة العربية عنصر حيوي يضمن التفاهم والترابط بين أفراد المجتمع، وهي وسيلة لضمان توحيد كلمة الأمة في أبعادها الثقافية، وعند الدفاع عن كرامتها وهويتها ومبادئها وقيمها، وبتلك الوحدة استطاع الشعب الجزائري أن يناضل ويحافظ على شخصيته الوطنية وانتمائه العربي الإسلامي، ويكافح ويناضل ضد الاستعمار بالغالي والنفيس من أجل تحرير وطنه ومعتقداته ولغته وبفضل مجهودات أبناء الجزائر واخلاصهم في الدفاع عن الوطن واللغة العربية استطاعوا أن يثبتوا بقاءها سليمة، وكذلك بتعليمها في المساجد والزوايا ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي دافعت عن الإسلام واللغة العربية طوال فترة الاحتلال الفرنسي الذي فرضت سلطاته مضايقات على معنويات المعلمين وحضرا على تعليمهم اللغة الوطنية.

ورغم ما عانته البلاد من ويلات خلال التسلط الإستدماري الفرنسي الذي اغتال السيادة الوطنية وكان يريد طمس اللغة في دارها ونشر اللغة الفرنسية بدلها لكن كفاح الشعب الجزائري لم يتوقف إلى أن توج بالاستقلال وعادت اللغة العربية إلى عزتها كما كانت قبل الاحتلال وتبوأت مكانتها الدستورية وأصبحت اللغة الرسمية للدولة قانونيا وأصبحت من الجزائر تساهم في ضمان التواصل الثقافي والترابط بين الأقطار العربية وتسعى إلى أخذ مكانتها بين اللغات المتطورة ليس في الجانب الإداري، بل في ميادين شتى العلوم الأخرى وذلك بفضل مجهودات المعلمين والأساتذة حماتها الساهرين على ترقيتها وتطويرها وتعميم استعمالها في جميع الهيئات العمومية والإدارية، ومؤسسات البلاد وفي مقدمة الساهرين على تعبئة المتتبعين لتعميمها من أساتذة المجلس الأعلى للغة العربية والذين ينشطون في لجانه الدائمة لتوجيه عمل المؤسسات.

ملخص البحث

تبدوا المسألة اللغوية في الجزائر أكثر تعقيدا مما عليه في الجوار المغاربي والجناح المشرقي من الوطن العربي، بسبب محنة الاحتلال الاستيطاني الطويل وسياسات التخريب المعنوي لثقافتنا وتراثنا بهدف الاستيلاء على أرض بلا شعب.

ورغم ما عانته البلاد من ويلات خلال التسلط الاستدماري الفرنسي الذي اغتال السيادة الوطنية وكان يريد طمس اللغة في دارها ونشر اللغة الفرنسية بدلها لكن كفاح الشعب الجزائري لم يتوقف إلى أن توج بالاستقلال وعادت اللغة العربية إلى عزتها ومكانتها كما كانت قبل الاحتلال وتبوئت مكانتها الدستورية وأصبحت اللغة الرسمية للدولة قانونيا وأصبحت من الجزائر تساهم في ضمان التواصل الثقافي والترابط بين الأقطار العربية وتسعى إلى أخذ مكانتها بين اللغات المتطورة ليس في الجانب الأدبي فقط بل في ميادين شتى العلوم الأخرى.

ويهدف هذا البحث لإبراز أهمية اللغة العربية ومكانتها الدستورية في المجتمع الجزائري وكذلك موقعها في حياة الجزائريين وسبيل النهوض بها. ويهدف هذا البحث أيضا إلى تبيان دور المعلمين والعلماء والأساتذة والمسؤولين الساهرين على ترقيتها وتطويرها وتعميم استعمالها في جميع الهيئات العمومية والإدارية.

وسيتبع هذا البحث المنهج الوصفي في جمع البيانات والمعلومات المحققة للتعرف على مكانة اللغة العربية وأهميتها في المجتمع الجزائري من خلال مجهودات مختلف الهيئات والجمعيات ومن خلال نصوص الدستور التي تبين مكانتها المرموقة والرسمية في جميع القطاعات وذلك بغية النهوض بها ونشرها وترقيتها وتطويرها. وسينقسم البحث إلى أربعة محاور سيتحدث أولها عن أهمية اللغة وعلومها، وسيتحدث ثانيها عن مكانة اللغة العربية في الإسلام ومميزاتها، أما ثالثها فسيتحدث عن مكانة اللغة العربية في الدستور الجزائري وحمايتها القانونية، ومكانتها في مشروع جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين، أما رابعها فسيتحدث عن مسألة اللغة العربية والتعريب وعن واقعها في الجزائر وسبيل النهوض بها وموقعها في حياة الجزائريين. وينتهي البحث بخاتمة تركز على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات التي ينصح بها ويدعوا إليها.

مقدمة:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، لغة التاريخ ولغة الأصالة، ولغة العلم، ولغة الحضارة ونحن نقول هي: اللغة الحية، لغة عمرها قرون، وباقية لا يتغير جوهرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي محفوظة بفضل الله تعالى التي اختارها لينزل بها القرآن الكريم، قال الله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (سورة يوسف، الآية:٠٢)، لا ينكر أحد أبدا أنها رابط متين بتاريخ مجيد لأمة عظيمة، اسمها أمة الإسلام.

لقد خفت بريق هذه الأمة وتقهقرت سنوات طويلة نحو الوراء، تاركة المجال لحضارات أخرى تلعب دورا هاما ومؤثرا في هذا العالم، ما كان أبدا يليق بأمتنا العظيمة أن تتنازل عن هذه المكانة السامقة ولكنها حقيقة يجب علينا التسليم بها بكل أسى وألم.

إذا أردنا أن نتكلم عن أمة ما، عن تاريخ ما، عن حضارة ما، لابد من ذكر عاملها ومقومها الأساسي وهو اللغة ولسان القوم، ففيها المخزون الثقافي والقيمي، والأبعاد الحضارية لها، لذلك فإن اللغة ركيزة الأمم وسبيل لنهضتها ورقيها.

تعتبر اللغة عند كل الشعوب عنصر أساسي تتميز بها عن بعضها البعض، بها تتواصل وتتفاهم وتتقارب، ومن خلالها يفكر الفرد ويبدع ويصنع ويبني حضارته، وقد أشار القرآن الكريم إلى ارتباط اللغة بأصل خلق الإنسان وجوهر وجوده في قصة خلق آدم عليه السلام، فبعد ذكر خلق آدم وجعله خليفة في الأرض بين الله للملائكة فضله وميزته باللغة التي منحه إياها، وبها يمتلك القدرة على الترميز وإعطاء الأشياء مسمياتها.

وتعد اللغة عند كل أمة أهم مكون من مكونات الهوية الثقافية، إذ تسعى دوما للدفاع عنها والترويج لها والعمل على صيانتها وتطويرها وتعد المراكز العلمية والمخابر في الجامعات والمجالس العليا للغة العربية في الجزائر أهم وأفضل المواقع لفهم وتحليل علوم اللغة البشرية.

وفي الجزائر دين الدولة هو الإسلام ولغتها الرسمية هي اللغة العربية وهذا ما ينص عليه الدستور الجزائري حسب المادة ٠٣: اللغة العربية لغة الأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري.

وقد أكد ذلك فخامة الرئيس السيد عبد العزيز بوتفليقة في إحدى خطبه بقوله: إننا نريد أن ننهل من الحداثة كل ما يخدم شعبنا ويساعد على تقدمنا ورقينا، لكننا نصر على البقاء على وفائنا لقيمنا الوطنية، ولثوابت ديننا الحنيف وثقافتنا العريقة.

إننا بتمكننا من لغتنا وتعلمنا لغات الآخرين، يمكن أن نكشف لهم عن سحر وجمال لغتنا، وإنا على ثقة بأن النخب العربية والعقول المبدعة تساهم في تحديد الوعي بالمستقبل، وبتوصيل الفكر المستنير دون انقاع عن الأصالة والهوية العربية الإسلامية (عبد العزيز بوتفليقة، ٢٠٠٩، ٠٣).

وتتمحور إشكالية موضوع المداخلة حول ما هو موقع ومكانة اللغة العربية في حياة المجتمع الجزائري

المحور الأول: أهمية اللغة العربية وضرورة التحدث بالفصحى

أولا: تحديد المفاهيم

١-مفهوم اللغة: ألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم، واللغات كثيرة، وهي مختلفة من حيث اللفظ، متحدة من حيث المعنى، أي: أن المعنى الواحد الذي يخالج ضمائر الناس واحد، ولكن كل قوم يعبرون عنه بلفظ غير لفظ الآخرين ومن هنا يمكن تحديد مفهوم اللغة: بأنها نظام صوتي رمزي ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعة معينة، ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم.

٢-مفهوم اللغة العربية: هي الكلمات التي يعبر بها العرب عن أغراضهم، وقد وصلت إلينا من طريق النقل وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وما رواه الثقات من منشور العرب ومنظومهم.

٣-مفهوم العلوم العربية: لما خشى أهل العربية عن ضياعها، بعد أن اختلطوا بالأعاجم، دونوها في المعاجم (القواميس) وأصلوا لها أصولا تحفظها من الخطأ، وتسمى هذه الأصول "العلوم العربية".

فالعلوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ، وهي ثلاثة عشر علما:

"الصرف، والإعراب (ويجمعهما اسم النحو)، والرسم (وهو العلم بأصول كتابة الكلمات)، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي، وقرض الشعر، والانشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة". وأهم هذه العلوم: "الصرف والاعراب" (مصطفى الغلاييني، ٢٠١٣، ١٥)

ثانيا: أهمية اللغة

اللغة فكر ناطق، والتفكير لغة صامتة، واللغة العربية هي معجزة الفكر الكبرى.

إن للغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة فإنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم، إن القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار والصور الكلامية التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقا عن مضمونها الفكري والعاطفي.

إن اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة، وتحمي كيانها، وقد قال فيلسوف الألمان "فيخته": "اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين، إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان".

ويقول الراهب الفرنسي "غريغوار": "إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة –والحالة هذه–أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين".

ويقول "فوسلر": "إن اللغة القومية وطن روحي يؤوي من حرم وطنه على الأرض".

ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأمة. كيفما قلبت أمر اللغة، من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها، وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها" (فرحان السليم، ٢٠١٥، ٠١)

واللغة هي إحدى مخلوقات الله تعالى، قال جلا وعلا في محكم التنزيل: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين" (سورة الروم، الآية: ٢٢).

وهي تعبير مدهش عن قدرة الله تعالى التي لا تتناها، فنواة اللغة هي صوت الإنسان وأعضاؤه النطقية. والصوت مساحة محدودة، وإمكانات أعضاء النطق محددة أيضا، فهي تنتج عددا معينا من الأصوات نعبر عنه بالحروف الهجائية، ومع ذلك فإن هذه الأصوات المحددة الناشئة عن أعضاء النطق المعدودة المختلفة في الحنجرة، والحلق، واللسان، والشفتين، والأنف ...الخ هي التي انتجت هذا الوجود اللغوي الهائل المتنوع الذي تعبر عنه ثلاثة آلاف لغة موجودة، شاء الله أن يكون اهتداء الانسان إليها منطلقا إلى كل ما شاء على الأرض من حضارات، وفيصلا بين هذا الانسان وما سواه من الكائنات. (على أحمد مدكور، ٢٠٠٩، ٢٨)

ثالثا: أهمية اللغة العربية

إن عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها تجعل من الضروري الاهتمام بتعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها من العرب والمسلمين، فهي بالإضافة إلى أنها اللغة الأم لم يربو على مائة وستين مليونا من المسلمين العرب، فإنها اللغة المؤسسة لما يربو على ألف مليون مسلم في جميع أنحاء الأرض، حيث إنها لغة القرآن الكريم، وهي أقرر اللغات التي تعين الفكر والمتدبر على فهم آيات الله. (علي أحمد مدكور، ٢٠٠٩، ٤٥)

واللغة العربية أقدم اللغات التي مازالت تتمتع بخصائصها، وقد غير دهر طويل كانت هي اللغة الحضارية الأولى في العالم.

إن اللغة العربية أداة للتعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض، وهي ثابتة في أصولها وجدورها، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها.

إن الأمة العربية أمة بيان، والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول، فللغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم، إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها وبواسطتها اتصلت الأجيال العربية جيلا بعد جيل في عصور طويلة، وهي التي حملت الإسلام وما انشق عنه من حضارات وثقافات، وبها توحد العرب قديما وبها يتوفدون اليوم ويؤلون في هذا العالم رفعة من الأرض، تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تناسي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول.

واللغة العربية هي أداة الاتصال

ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءا كبيرا من ثقافتهم واشتركت معهم، وجعلت الكتاب العربي المبين ركنا أساسيا من ثقافتها، وعنصرا جوهريا في تربيتها الفكرية والخلقية. (فرحان السليم، ٢٠١٥، ٠١.)

وقد استطاعت اللغة العربية في فترة انطلاقها وتوسعها أن تمثل نموذج اللغة التي يحرص المثقفون من غير أبنائها على أن يتحلوا بمعرفتها، بل استعارت حروفها كثير من اللغات الأخرى وخاصة اللغات الإسلامية، لكي تكتب بها كلماتها، ومن بينها اللغة الفرنسية في إيران، وأفغانستان، واللغة الأوردية في الهند وباكستان، اللتان كانتا، وما تزالان تكتبان بالحروف العربية، لكن لغات إسلامية أخرى كانت تكتب بالحرف العربي وتخلت عن ذلك الحرف نتيجة للتخطيط المحكم لمحاربة العربية في القرن العشرين. (منتديات حدائق المعرفة)

ولكن اللغة في حاضرها اليوم في حاجة إلى أن تتذكر، وأن تستجمع قواها لمواجهة متطلبات الحاضر والمستقبل في المجال المعرفي والحضاري، وأن تنتهي بفضل وعي وهمة أبنائها للقيام بدورها الحقيقي في المحافظة على الهوية، ولنتذكر أننا في عصر تلعب فيه حالة لغات الشعوب قدرة أو ضعفا، دورا مهما في المحافظة على كيان الأمة أو التفريط فيه، وتركه عرضة لتقلبات الأهواء والأحداث من حوله، ونحن أيضا في عصر تحرص فيه اللغات الكبرى المسيطرة على التهام اللغات المنافسة لها، أو إضعافها وتفتيتها، وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى وسائل علمية وتعليمية إعلامية.

إن أكبر تحدي يواجه الانسان العربي اليوم هو العمل على إعادة الاعتبار للغة العربية حتى تأخذ مكانتها الطبيعية اللائقة بها كلغة دين وعلم وحضارة، ولا يكون هذا إلا إذا أدركنا أن ضياع اللغة يعني ضياع الأمة ومن عملنا على تفادي هذا الأمر بمختلف الوسائل وشتى السبل ولكن البداية أن نعود أنفسنا وأبناءنا التحدث باللغة العربية بالفصحى ولا نتخلى عن هذا إلا عند الضرورة. (أبو شرف تواني، ٢٠١١، ٠٢)

لقد غدت العربية لغة تحمل رسالة أساسية بمفاهيمها وأفكارها واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية، اعتبروها جميعا لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والتصوف والأدب والفن.

ومن أقوال بعض العلماء الأجانب قبل العرب في أهمية اللغة العربية ما يلي:

-يقول الفرنسي "ارنست ريتان": "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة"

-ويقول الألماني "فريتاغ": "اللغة العربية أغنى لغات العالم".

-ويقول "وليم ورك": "إن للعربية لينا ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر".

-ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام: "العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة".

-ويقول "مصطفى صادق الرافعي": "إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكما".

-ويقول الدكتور "طرجس": "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهني أيضا". (فرحان السليم، ٢٠١٥، ٠٢).

المحور الثاني: مكانة اللغة العربية في الإسلام ومميزاتها

أولا: مكانة اللغة العربية في الإسلام

وهي أسمى اللغات وأفضلها، تمتاز اللغة العربية بأنها لغة مقدسة، فهي لغة القرآن الكريم، وكان نزول القرآن الكريم بها، أعظم عوامل الحفاظ عليها وانتشارها في معظم بقاع الأرض، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة.

وهي نموذجية في مبناها ومعناها، لذلك إذا أردنا أن نعلم أبناءنا العربية الصحيحة فعلينا أن نعودهم قراءة القرآن الصحيحة وترتيله وحسن الاستماع إليه منذ نعومة أظفارهم. (علي أحمد مدكور، بدون سنة، ١٥٣، ١٥٤)

إن مكانة اللغة العربية وأهميتها تنبع من ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي الحنيف والقرآن الكريم، فقد اصطفى الله

هذه اللغة من بين لغات العالم لتكون لغة كتابه العظيم ولتنزل بها الرسالة الخاتمة قال الله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (سورة يوسف، الآية:٠٢)

وقال أيضا: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" (سورة الشعراء، الآية: ١٩٣-١٩٥)

وقال جلا وعلا: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآن عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون" (سورة الزمر، الآية: ٢٧-٢٨)

ومن هذا المنطلق ندرك عميق الصلة بين العربية والإسلام، كما نجد تلك العلاقة على لسان العديد من العلماء ومنهم:

- ابن تيمية حيث قال: "إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب".
- ويقول الامام الشافعي رحمه الله في معرض حديثه عن الابتداع في الدين: "ما جهل الناس، وما اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب".

إن الجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب حياة الأمة، وأن اللغة مقوم من أهم مقوماتها، والمكون لبنية تفكيرها، هي الحاملة لثقافتها ورسالتها والرابط الموحد بين أفرادها والصلة بين أجيالها.

وقد كان سلف الأمة يولون العناية الفائقة للغة العربية ويحتون على تعلمها.

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها تزيد من المروءة".
- وروى أبو بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "أن مر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام".
- وعن أبي العالية قال: "كان ابن عباس يعلمنا اللحن، قيل يعلمنا الصواب وقيل يعلمنا الخطأ لنجتنبه".
- وعن الحسن البصري أنه سئل: ما نقول في قوم يتعلمون العربية؟ قال: "أحسنوا يتعلمون لغة نبيهم". (أبو شرف تواتي، ٢٠١١، ٠١-٠٢).
- وعلى ذلك فإن تعلم اللغة العربية ليس مهما للناطقين بها فقط، بل مهم أيضا للمسلمين الناطقين بغيرها، وذلك لأن ترتيل القرآن وقراءته وتدبر آياته والعمل بها فرض على كل مسلم، قال الله تعالى: "ورتل القرآن ترتيلا" (سورة المزمل، الآية: ٠٤).

إن الثقافة الإسلامية هي الأسلوب الكلي لحياة المجتمع الإسلامي، فاللغة العربية لا يجب أن تعلم إلا من خلال الثقافة والحضارة التي أوجدتها وحافظة عليها. ولقد أكدت الدراسات الميدانية أن الدارس الذي لا يحترم حضارة اللغة التي يتعلمها لن يستطيع التقدم في تعلم هذه اللغة، وهذا يعني أننا يجب أن نعلم اللغة العربية من خلال ثقافة الأمة الإسلامية وحضارتها. (على أحمد مدكور، ٢٠٠٩، ٤٦)

لا يخفى على ذي لب ما للغة العربية من أهمية عظمى، في كونها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكونها جزءا من ديننا، بل لا يمكن أن يقدم الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ المسلم إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركن من أركان الصلاة، التي هي ركن من أركان الإسلام. (صادق بن محمد الهادي، ٢٠١١، ٠٥).

وتزداد أهمية تعلم اللغة العربية من بعد الناس عن الملكة والسليقة اللغوية السليمة، مما سبب ضعف الملكات في إدراك معاني الآيات الكريمات؛ مما جعل الأداة اللغوية خير معين على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ وقد نبه ابن خلدون على ذلك في كتابه المقدمة بقوله: "فلما جاء الإسلام، وفارقوا الحجاز ... وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين العجم، والسمع أبو الملكات اللسانية؛ ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع".

ومما يدل أيضا على أن أهمية اللغة العربية في فهم الكتاب العزيز حرص العلماء في العصور المتقدمة على التأليف في اعراب القرآن ومعانيه.

واللغة عموما: -أي لغة كانت- لها ثلاث وظائف، هي:

- أن اللغة هي الركن الأول في عملية التفكير؛
- وهي وعاء المعرفة؛
- وهي الوسيلة الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب، وبث المشاعر والأحاسيس.
- ويمكن أن نلخص أهمية اللغة العربية ومكانتها في الإسلام بالنقاط التالية:

١- البيان الكامل لا يحصل إلا بها، ولذا لم ينزل القرآن إلا باللغة العربية؛

٢- أن اللغة العربية تعد مفتاح الأصلين العظيمين؛ الكتاب والسنة، فهي الوسيلة إلى الوصول إلى اسرارهما، وفهم رقائقهما؛

٣- أن بالعلم باللغة العربية تحصل إقامة الحجة على الناس؛
٤- ان اعتياد التكلم باللغة العربية يؤثر في العقل والخلق والدين؛
٥- أن اللغة العربية والمحافظة عليها من الدين، وهي حقيقة عظيمة لهذه الأمة؛
٦- أن اللغة العربية مصدر عز للأمة؛
٧- أن الجهل باللغة العربية من أسباب الزيغ؛
٨- أهمية اللغة العربية لكل من المفسر والمحدث والفقيه. (صادق بن محمد الهادي، ٢٠١١، ٠٦-٠٩).

ثانيا: مميزات اللغة العربية

للغة العربية مميزات عديدة، فهي أوسع اللغات وأصلحها، في جمع معاني، وايجاز عبارة، وسهولة جري على اللسان، وجمال وقع في الأسماع، وسرعة حفظ.

ومن مميزات اللغة العربية ما يلي:

١-سعة اللغة العربية: مفرداتها وفيرة، وكل مرادف ذو دلالة جديدة، مما يدل على غنى هذه اللغة؛
٢- اللغة العربية قائمة على جذور متناسقة لا توجد في اللغات الأخرى قاطبة؛
٣- الأفعال المتقاربة الجذور في العربية معاني متشابهة لا ترى أمثالها في اللغات الأخرى؛
٤- اللغة العربية تميز بين المذكر والمؤنث، سواء في العدد أو في غيره، بعكس اللغات الأخرى؛
٥- اللغة العربية أصل اللغات كلها؛
٦- اللغة العربية من أعز لغات العالم، بل هي أرقى لغات أوروبا، لتضمنها كل أدوات التغيير في أصولها؛
٧- تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في كل دول العالم العربي، ويطلق العرب على اللغة العربية (لغة الضاد) لأنها الوحيدة بين لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد؛
٨- اللغة العربية تعد أقدم اللغات على وجه الأرض، على اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة، فقد أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة (١٦٠٠ سنة).

فعلى المسلم أن يعرف أهمية هذه اللغة ومكانتها، وأنه لا غنى لنا عنها، كما يجب أن يعتز بها لا بغيرها من اللغات كما هو الحاصل عند بعض الناس مع الأسف. (الصادق بن محمد الهادي،٢٠١١، ١١-١٣).

المحور الثالث: مكانة اللغة العربية في المجتمع الجزائري

أولا: مكانة اللغة العربية في الجزائر

رغم ما عانته الجزائر من ويلات خلال التسلط الاستدماري الفرنسي الذي اغتال السيادة الوطنية و كان يريد طمس اللغة العربية في دارها لكن وحدة الشعب الجزائري وكفاحه استطاع أن يناضل ويحافظ على شخصيته الوطنية وانتمائه العربي المسلم حتى حقق الاستقلال وعادت اللغة العربية إلى مجدها وعزتها كما كانت قبل الاحتلال وتبوأت مكانتها الدستورية وأصبحت اللغة الرسمية للدولة، ومن خلال نصوص الدستور التي تبين مكانتها المرموقة في جميع القطاعات بغرض النهوض بها وترقيتها وتطويرها وتعميم استعمالها في جميع الهيئات العمومية والإدارية، ومؤسسات البلاد و في مقدمة الساهرين على تعبئة المتتبعين لتعميمها رئيس وأساتذة المجلس الأعلى للغة العربية الذين ينشطون في لجانه الدائمة لتوجيه عمل المؤسسات.

فالمجلس الأعلى للغة العربية له دور كبير ونشاط متواصل في تنظيم الندوات والملتقيات العلمية وتوجيه القطاعات والمؤسسات الثقافية والاقتصادية في تطبيق استعمال اللغة العربية وإقامة ندوات وملتقيات علمية حضرها ضيوف من البلدان الشقيقة والصديقة كما اثرى المكتبة الوطنية بعدة كتب وعناوين ومؤلفات تعالج مواضيع لغوية ولسانية معاصرة تزيد في تدعيم وتثبيت مكانة اللغة العربية وتلفت الانتباه الى خطورة الالفاظ الأجنبية كالفرنسية وغيرها التي أجذت مكانها في اللغة الفصحى و في العامية وأصبحت تسيئ الى سلامتها .(محمد علاق،٢٠٠٩، ٨٥)

كانت اللغة العربية في ماضي أمتنا لغة رقي وحضارة عظيمة، تخطت حدود رقعة البلاد العربية الإسلامية الى أوربا غربا وأقاصي الصين والهند شرقا مما دفعها الى الاحتكاك بلغات شعوب التي اعتنقت الإسلام والتأثير عليها، لكونها اللغة التي نزل بها القران الكريم، فقد اختارها الله عزوجل لتكون اخر كتبه لغة هذا القران قال تعالى "انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون" (سورة الزخرف،الاية:٣) فهي الوعاء الذي محل الاختيار من الله عزوجل للغة العربية لم يكن من باب الصدفة، انما يعود الى ما تمتاز به من مرونة واتساع وقدرة على الاشتقاق والنعت والتصريف وثراء في المفردات والصيغ والتراكيب

وغير ذلك، فهي الخصائص المميزة التي رشحتها لأن تكون لغة القران الكريم، فشرفت بهذا الاختيار وازدادت سموا ورفعة، مما جعلها لغة عالمية حظيت بعناية خاصة.

واللغة العربية هي المعبر الصادق عن قيم الأمة العربية وحضارتها والحافظ على تراثها وكيانها، مما جعلها تسمو الى أعلى المراتب وتخرج من محليتها الضيقة الى عالمية واسعة، وبذلك لم تكن تعاني الإهمال والقصور من أبنائها ومن غير أبنائها ممن دخلوا في الإسلام وأرادوا فهم تعاليمه. وبقيت العربية الفصحى تعيش على هذه الحال لعهد طويل الى أن وجدت نفسها اليوم أمام تحديات وعوامل جديدة، تحاول طمسها والنيل منها وبالأحرى محو أي أثر لها في حياة الناطقين بها وغيرهم مما ينضون تحت امرة الإسلام، وبذلك أصبحت لغة غريبة في أوطانها ومضطهدة في ديارها، حين أخذ لها أهلها بديلا وهو العاميات واللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية. ويكفي لهذا السبب ولأسباب كثيرة لا تحصى ولا تعد لأن نتأسف ونتحسر على الوضع الذي الت اليه لغة ديننا ونقول وقتها قبل فوات الأوان لمحبيها ومخلصيها والمدافعين عنها هلم الى العمل وبذل الجهد من أجل حمايتها والنهوض بها وابقائها صامدة حتى تنتصر في المعركة اللغوية وتواجه تيار العولمة. (جميلة راجا.٢٠٠٩. ٢٦٩).

ولقد كانت اللغة العربية لغة القران متأصلة لدى الشعب في الجزائر منذ الحقبة التاريخية التي وصل فيها الفاتحون الى بلاد القبائل البربرية في ربوع المغرب في منتصف القرن الهجري الأول وكانت الجموع المرافقة لعقبة بن نافع الفهري وحسان بن نعمان وموسى بن نصير وغيرهم، قد جاءوا مبلغين للدعوة الإسلامية مبشرين وناشرين لتعاليم الدين الإسلامي ومن بينهم فقهاء كانت غايتهم تعليم أهالي البلاد المغربية القران الكريم واللغة العربية ليتمكنوا من فهم أمور دينهم.

فمن ذلك الحين بدأت القبائل البربرية المعروفة بالبتر والبرانس وفروعها المتعددة ومنها: كتامة، صنهاجة، هوارة، نفوسة، زناتة، ومكناسة، وهم السكان الأصليون في الجزائر، وينسب المؤرخون هؤلاء البربر الى أصول عربية من الكنعانيين جاءوا قديما الى شمال افريقيا عبر طرق التجارة وانقطعت بهم السبل فأقاموا بإفريقيا والكنعانيون من الشعوب السامية مثل الأموريين والكلدانيين وأيضا القبط الرعاة الذين استوطنوا مصر.

فبدأ البربر يتعرفون على القادمين من المشرق وعلى ثقافة الدين الإسلامي وكيفية التعامل بأخلاقه وبهرتهم العدالة الاجتماعية التي جاء بها فلانت نفوسهم للإسلام، واستساغوا اللغة العربية التي زادتها المعاني القرآنية رونقا وجمالا في التعبير، فاقبلوا يتعلمونها قراءة وكتابة وبعد فترة قصيرة أصبحوا يتخاطبون ويدونون بها شؤونهم وكل شيء جديد يتعلمونه وأبقوا على تداول لهجاتهم البربرية بالسماع واللفظ الشفوي ولكل جهة من مناطق الوطن أسلوب لهجتها الإقليمي.

وبعد أن خبروا لغة الشرقيين وتقاليدهم وجدوا تقاربا معهم في اللغات وخاصة عند القبائل الرحل وتبين لهم أن القادمين من المشرق ليس لهم طمع لا في الأرض ولا في الأرزاق، بل هدفهم نشر الدعوة الإسلامية حيثما نزلوا وعلموا أن عقبة بن نافع الفهري المتوفى سنة ٦٤ هـ، قد شق بجيشه طريقه نحو الغرب رغم المقاومة التي واجهته بها القبائل البربرية إلى أن بلغ المحيط الأطلسي ووقف بجواده في ماء شاطئه وقال والله لو علمت أن وراء هذا البحر أرضا يشرك فيها بالله لخضت إليها البحر حتى أنشر بها دينه وقد وجدوا أن عادات العرب مخالفة تماما لتلك التي عند الرومان والبيزنطيين الذين كانوا معهم في معارك مستمرة، فحبذوا التقارب من القادمين من المشرق واستكانوا إليهم كأنما استشعروا فيهم رائحة أجدادهم الأولين فقبلوا التعايش السلمي معهم والتحقوا تطوعا في ضفوف المجاهدين وشاركوا في نشر الدعوة الإسلامية في ربوع المغرب وفي الأندلس.

وأصبحوا من حماة اللغة العربية حتى أن أحد شيوخهم ويعرف بالزواوي بن المعطي، قد وضع ألفية في النحو والصرف للحفاظ على سلامة التلفظ بها وجاء بعده ابن مالك ووضع ألفية في نفس المادة وقال فيها فائتة ألفية بن المعطي، وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميل.

ومما زاد ازدهار اللغة العربية في المجتمعات البربرية هو حفظهم للقرآن الكريم وكثرة الاستعمال والممارسة والمخاطبة بالألفاظ السليمة في مراسلاتهم والوثائق المدونة.

فاللغة العربية التي نعتز بها ونأمل أن يصل بها علماؤنا، وكتابنا عالي درجة الابداع تتطلب السهر على سلامتها من الخلط في الكلام وإدخال الألفاظ

الفرنسية وغيرها في المحادثات بالفصحى لأن ذلك ينقص من مستوى موضوع المحادثة، وإذا كان الموضوع يحتاج إلى كلمات تقنية مترجمة من لغة ثقافة أجنبية فلا حرج في ذلك لأن تعامل اللغة العربية مع الثقافات الأخرى في نقل الخبرة أخذا وعطاء أصبح من ضروريات عصر العولمة.

وبما أن اللغة العربية هي القاسم المشترك الأعظم مع كل الأقطار العربية، فالجدير بمجامعنا اللغوية في المشرق والمغرب بدءا من مجمع اللغة في دمشق والقاهرة والزيتونة والمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر والقزويين في المغرب وكل المؤسسات التي تعنى باللغة العربية جدير بهم أن يمتنوا روابط التعاون والاجتهاد فيما بينهم في انتقاء الألفاظ التقنية وإصدارها في مجلة أو معجم تكون مرجعا للجميع على غرار الأدلة والمعاجم التي أصدرها المجلس الأعلى للغة العربية كمعجم المصطلحات التسيير المالي والمحاسبة ودليل المصطلحات المكتبية وهناك أيضا المجلة التي يصدرها الاتحاد العربي للحديد والصلب الذي تأسس في الجزائر سنة ١٩٧١ ومقره في الشراقة وله فروع إقليمية في دمشق والقاهرة ويعمل على تنشيط وتدعيم التعاون والتعارف والمبادلات بين أعضائه في جميع المجالات ومجلته أطلق عليها الصلب العربي، تصدر بالعربية والانجليزية، الوحيدة في الصحافة العربية التي تعالج صناعة الصلب ولها موقع في الانترنيت باللغة العربية.

فعلى المؤسسات التي تعنى باللغة العربية أن تتفق على انتقاء الألفاظ التقنية وإعطائها مسميات عصرية وتعميمها عند قراء العربية أينما وجودا ليتمكن الناطقون بلغة الضاد من استعمال ألفاظ تقنية تساير وتواكب المستوى الثقافي حسب متطلبات العصر وبلغة واحدة وموحدة لجميع العرب. (محمد علاق،٢٠٠٩، ٨٦، ٨٧)

ثانيا: مكانة اللغة العربية القانونية في الدستور الجزائري

١-دور التشريع في تأمين الحماية القانونية للغة العربية

تعد اللغة العربية لغة مستعملة من طرف نسبة كبيرة من سكان الكرة الأرضية إذ هي اللغة الأساسية في ٢٢ دولة كما هي لغة رسمية ودائمة بالأمم المتحدة.

إن هذا الأمر دفع البعض إلى القول أنها "مصدر كل اللغات" على أساس أن من يستعملها يمكنه النطق بالعديد من أحرفها.

إن أكبر عطاء في هذه اللغة للإنسانية، الأرقام العربية (٣، ٢، ١ ...) ضف إلى ذلك أن العديد من الكلمات المستعملة في بعض اللغات تجد مصدر لها في اللغة العربية.

إن سر بقاء هذه اللغة عبر القرون يعود إلى اعتبارها لغة القرآن الكريم وبالتالي اجتازت سنوات هائلة من الحضارة الإسلامية.

وعلى هذا الأساس لقد عمدت الجزائر على غرار معظم الدول العربية ومنذ استقلالها على إرساء القواعد القانونية لحماية اللغة العربية وذلك بمختلف النصوص التشريعية ونذكر في هذا السياق.

١-١-الحماية القانونية للغة العربية في الجزائر

-الدستور:

لقد كرس الدستور الجزائري الحماية القانونية للغة العربية باعتبارها من المكونات الأساسية للجمهورية الجزائرية ضمن "المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري".

وحسب المادة ٣ منه فإن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية" ولا يمكن لأي تعديل دستوري أن يمس باللغة العربية وذلك طبقا لنص المادة ١٧٨ من الدستور.

- الأمر رقم ٦٦-١٥٦ المؤرخ في ٠٨ يونيو ١٩٦٦ المتضمن قانون العقوبات المعدل والمتمم.

حيث نصت المادة ٨٧ مكرر منه على أنه يعتبر فعلا إرهابيا أو تخريبيا "كل اعتداء على رموز الأمة أو الجمهورية...".

- الأمر رقم ٦٨-٩٢ المؤرخ في ٢٦ أفريل ١٩٦٨ المتضمن إجبارية تعميم استعمال اللغة العربية على الموظفين ومن يماثلهم.
- الأمر رقم ٧١-٠٢ المؤرخ في ٢٠ جانفي ١٩٧١ المتضمن أحكام إجبارية تعميم استعمال اللغة العربية على الموظفين ومن يماثلهم.
- القانون رقم ٩١-٠٥ المؤرخ في ١٦ جانفي ١٩٩١ المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.

حيث نصت المادة الأولى منه على أنه "يحدد هذا القانون القواعد العامة لاستعمال اللغة العربية في مختلف ميادين الحياة الوطنية، وترقيتها وحمايتها".

واعتبر هذا القانون اللغة العربية

مقوم من مقومات الشخصية الوطنية الراسخة وثابت من ثوابت الأمة.

- المرسوم الرئاسي رقم ٩٢-٣٠٣ المؤرخ في ٠٤ جويلية ١٩٩٢ المتضمن كيفيات تطبيق القانون رقم ٩١-٠٥ المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.

ونصت المادة الأولى منه على أن "تعميم استعمال اللغة العربية بوصفها لغة وطنية ورسمية في جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها مبدأ راسخ لا يمكن التراجع عنه".

أما المادة ٠٤ منه فنصت على أنه "تسهر الهيئة الوطنية للتنفيذ المنصوص عليها في القانون رقم ٩١-٠٥ على متابعة وتقويم الإجراءات المتخذة في كل القطاعات والتأكد من أن كل الإمكانات المتوفرة لديها مستعملة فعلا وبصفة عقلانية لتطبيق القانون المذكور أعلاه".

- الأمر رقم ٩٦-٣٠ المؤرخ في ٢١ ديسمبر ١٩٩٦ المعدل والمتمم للأمر رقم ٩١-٠٥ المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.

حيث نصت المادة ٠٥ منه على أن "ينشأ المجلس الأعلى للغة العربية ويوضع تحت إشراف رئيس الجمهورية".

ويقوم على الخصوص بما يأتي:

- متابعة تطبيق أحكام القوانين الهادفة إلى استعمال اللغة العربية وحمايتها وترقيتها وتطويرها.
- تقديم تقرير سنوي عن عملية تعميم استعمال اللغة العربية إلى رئيس الجمهورية.

أما المادة السادسة منه فتنص على أنه "يعاقب بغرامة مالية من ١٠٠٠ دج إلى ٥٠٠٠دج كل من وقع على وثيقة محررة بغير اللغة العربية أثناء ممارسة مهامه الرسمية أو بمناسبتها".

- المرسوم الرئاسي رقم ٩٨-٢٢٦ المؤرخ في ١١ يوليو ١٩٩٨ المتضمن صلاحيات المجلس الأعلى للغة العربية وتنظيمه وعمله.

وحسب المادة ٠٤ منه فإن المجلس الأعلى للغة العربية يقوم بالصلاحيات الآتية "التنسيق بين مختلف الهيئات المشرفة على عملية استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها".

ولقد كرس المشرع الجزائري أخيرا وفي قانون الإجراءات المدنية والإدارية مبدأ ضرورة احترام المتقاضي والقاضي للغة العربية حيث ألزمهما في المادة ٠٨ من القانون السالف الذكر بمباشرة الإجراءات والعقود القضائية باللغة العربية تحت طائلة عدم القبول تقديم الوثائق والمستندات باللغة العربية أو مصحوبة بترجمة رسمية إلى هذه اللغة تحت طائلة عدم القبول ومباشرة المناقشات والمرافعات باللغة العربية وأخيرا إصدار الأحكام القضائية باللغة العربية تحت طائلة البطلان.

١-٢-الحماية القانونية للغة العربية في القانون المقارن

لقد أكدت هيئة اليونسكو سنة ٢٠٠٣ على وجود "خطورة على عدد من اللغات من بينها اللغة العربية، وإن هذه المخاطر قد تصل إلى اختفاء تلك اللغات من ألسن المتحدثين بها إذا استمر حال التدهور والإهمال والعزوف عن استخدامها استخداما سليما يحافظ عليها من التخلف والضياع".

لذلك سارعت مختلف الدول العربية إلى إعادة النظر في قوانينها المنظمة للغة العربية وإصدار قوانين جديدة تتعلق بحماية اللغة العربية، باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية لهذه الدول ورمزا لهويتها وثقافتها.

وفي الجزائر منذ فجر الاستقلال ومع أول دستور للدولة الجزائرية المستقلة احتلت العربية مكانتها في صدر الدستور بنص واضح غير قابل للتأويل باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية.

وبنفس العبارات تكرر النص في مختلف دساتير البلاد المتعاقبة، رغم اختلافها في كيفية تنظيم السلطات، وإدخال تعديلات جوهرية في طبيعة النظام السياسي، إلا أن ذلك لم يغير شيئا فيما يتعلق باللغة العربية.

ومن ثم، فإن طبيعة الدولة واختيار نظامها ولغتها، من أهم ما تصدر الدساتير عادة، وهي نصوص لا تتغير عادة إلا بتحولات جوهرية، أو ثورات كبرى.

وإذا كنا اليوم لا نخضع طبيعة النظام الجمهوري للنقاش، ولا ننوي أن نستبدله بغيره، بل ولا نقبل النقاش حوله أصلا، فإن العربية في هذه العربية في هذه البلاد يجب أن تحظى بنفس الروح في الدفاع عنها والتمكين لها، وعدم قبول تهميشها أو تجاوزها، أو إغفالها تحت أي ذريعة كانت، ليس من حقه أن يتحمس في الدفاع عن الجمهورية، فثقل النص الدستوري في الأمرين واحد.

ولم تنقطع المجهودات الرسمية على مستوى النصوص فازدانت الجرائد الرسمية بالقوانين والمراسيم على مختلف مستويات اتخاذ القرار بضرورة التمكين

للغة العربية.

ولحق ذلك إيجاد مجموعة من المؤسسات الرسمية التي لا هم لها إلى الاعتناء بالعربية دراسة ورعاية وتطويرا وإلزاما.

ثم تبع ذلك على مستوى بعض الحكومات مجهودات كانت واعدة في بداياتها، لأنها رسمت لنفسها آجالا تاريخية لتحقيق هدف تعميم استعمال العربية على مستوى الأجهزة. (عبد الوهاب دربال، ٢٠٠٢، ٠١-١٨)

ثالثا: دور المجلس الأعلى في ترقية اللغة العربية

عمل المجلس خلال عهدته الأولى ١٩٩٨-٢٠٠٣ بفريق يتكون من أعضاء يمثلون الإدارات والهيئات العمومية ومؤسسات البحث العلمي التابعة للجامعات والمعاهد العليا الوطنية، وكون في نهاية ٢٠٠٣ أفواجا من الخبراء وأساتذة الجامعات المتخصصين في المعجمية والترجمة والمصطلحية وأشرك في التخطيط والتنفيذ العديد من الوزراء ووكلاء الوزارات والمديرين العاملين في مختلف القطاعات التي لها علاقة بالجمهور، وأقام مع تلك القطاعات علاقات تشاور وحوار متواصلة لتعزيز مواقع العربية في الهياكل والمؤسسات التي دخلتها في السنوات الماضية وعمل على تقديم الوسائل المشجعة على استعمالها في هيئات أخرى، كما عقد المجلس عدة لقاءات مع منظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية عبر القطر للتعرف على العوائق التي تعترض عملية تعميم استعمال العربية في الحياة العملية وفي الاشهار والمحيط بوجه عام، واجتهد خبراؤه في تقديم الحلول في صورة أدلة أو قواميس ميسرة، مرفقة بنماذج للاستمارات والوثائق الإدارية الخاصة بالإدارات المركزية والمحلية على مستوى القطر الجزائري.

يعتمد المجلس في مسعاه طريقة عملية تنأى باللسان العربي في الجزائر عن التجاذبات الإيديولوجية والأحكام المسبقة عند البعض عن العربية والعروبة كما تبدو اليوم، من خلال أوضاع الوطن العربي السياسي، وما يعانيه من تخلف بسبب الفجوة العلمية والتكنولوجية التي تمنعه من المشاركة في صنع حداثة العصر، مما أدى إلى انبهار البعض بما عند الآخر، وكراهية الذات، وانسحاب البعض الآخر إلى الماضي والعيش عالة على أمجاده، والاستغناء عن الجهد والاجتهاد.

يعمل المجلس على ضوء معاناة جيل ما بعد التحرير من جرح الذاكرة بسبب إنكار شخصيته الوطنية، وتحقير اللسان العربي طيلة معاناة جيل ما بعد التحرير من جرح الذاكرة بسبب إنكار شخصيته الوطنية، وتحقير اللسان العربي طيلة حقبة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي الاجرامي الذي دمر الدولة ومؤسساتها ومارس إلى جانب الإبادة المادية إبادة معنوية لازالت مضاعفاتها النفسية والثقافية ظاهرة إلى اليوم. (محمد العيد ولد خليفة ،٢٠٠٩، ٤٣)

وتبين دراسة الواقع اللغوي في الجزائر وصيرورته التاريخية: أن الخريطة اللسانية تقدم المعطيات التالية:

- فصحى اقترنت بالقرآن الكريم وأدت إلى تقديس الحرف العربي وأصبحت آلية دفاعية ضد الأجنبي تستهدف التميز عنه، وإثبات الهوية العربية الإسلامية للجزائر في كل مدنها وأريافها؛
- عامية تمتزج في المدن بمفردات فرنسية يتم نطقها وفق مخارج الحروف العربية أو نطقها كما تنطق باللغة الفرنسية؛
- لغة أمازيغية بعدة لهجات فيها الكثير من المفردات العربية، كتبت حتى أواخر القرن ١٩ بالحرف العربي وهناك اليوم خلاف حول أي حرف تكتب به هل هو الحرف العربي أو اللاتيني أو التيفينازغ؟ وقد نص تعديل دستوري سنة ٢٠٠٢ بمبادرة تاريخية من فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة على اعتبارها لغة وطنية ولها محافظة سامية ومركز أبحاث تابع لوزارة التربية، كما تقرر أن يكون لها مجلس أعلى وأكاديمية للأبحاث العلمية.
- لغة فرنسية مستعملة في مستويات مختلفة بين فئات من النخبة والجيل الثاني من المغتربين في فرنسا، وقد تزايد انتشارها لأسباب أشرنا إلى بعضها في المحاور السابقة ويكاد ينشطر المجتمع الجزائري إلى ثلاث أصناف:
  - صنف أحادي اللغة (فرنسية)؛
  - صنف يتقن اللغتين أو على الأقل يحسن إحداهما؛
  - صنف أحادي اللغة (عربية).

وقد ارتأى المجلس بالنظر إلى المعطيات السابقة الاعتماد في عمله الميداني على الأفكار التالية:

١- لا توجد لغة متقدمة أو متخلفة بذاتها، إن التقدم والتخلف من صفات الناطقين بها، والعربية تقدمت

وأصبحت لغة الإبداع في العلوم والفنون والآداب في عصرها الزاهر، وتراجع منتوجها في تلك المجالات المعرفية عندما أصيب العالم العربي والإسلامي بالركود والفتن والتسلط الأجنبي؛

٢- اللغة العربية هي أساسا ثقافة وحضارة وليست عرقا أو سلالة؛

٣- العربية الفصحى لغة واحدة وموحدة لأقطار الوطن العربي وجامعة بين نخبه وشعوبه ومن دواعي التجانس والانسجام في القطر الواحد وبين الأقطار العربية؛

٤- العربية ليست خصما للأمازيغية فقد تعايشنا معا في وئام لأكثر من ألف عام، وقد ساهم الأمازيغ في الفضاء المغاربي كله في علومها وثقافتها وإلى اليوم، ومنهم الكثيرون من منطقة زواوة (القبائل) بالذات.

إن اللغة العربية التي أقصيت لأكثر من قرن في الجزائر لا تقصي اللغات الأخرى ومنها الفرنسية؛ بهدف الاستفادة من ذخائرها العلمية والإبداعية، وليس للتحول إلى خدمة تلك اللغات والهروب إليها.

وقد أسس المجلس منذ ٢٠٠٣ منبرين لمناقشة الأفكار السابقة بين مختلف فصائل النخبة وضيوف الجزائر من البلاد العربية الشقيقة ومن أوروبا يحمل الأول عنوان: حوار الأفكار، والثاني: منبر فرسان البيان، كما أنشأ سنة (٢٠٠٨) منبرا آخر تحت عنوان: شخصية ومسار للتعريف بجهود السلف والخلف في خدمة الثقافة العربية وعلومها وآدابها في العصور الحديثة. كما توجت جلسات الاستماع والتشاور مع مختلف دوائر الدولة بمجموعة من معاجم المصطلحات والأدلة العملية لقيت اهتمام المعنيين من مسؤولين وموظفين نذكر من تلك الأدلة:

-دليل الإدارة، للمصطلحات المعتمدة والتعابير المتداولة في مؤسسات الدولة؛

-المبرق قاموس موسوعي للإعلام والاتصال (مفاهيم ومصطلحات) نال جائزة اللغة العربية سنة ٢٠٠١؛

-دليل وظيفي في التسيير المالي والمحاسبي؛

-دليل وظيفي في تسيير الموارد البشرية؛

-دليل المحادثة الطبية؛

-دليل الوسائل العامة؛

-دليل المكتبة Bureautique (تحت الطبع).

وقد تم التحضير لتلك الأدلة بعدة ندوات وملتقيات تجمع بين الخبراء والمستعملين، وتقدم مشاريعها قبل اعتمادها للإثراء والتعديل من قبل القطاعات المعنية، وتستمد تلك الأدلة والقواميس المصطلحات مما اختارته مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وتضع أمام كل مصطلح مقابله بالإنكليزية والفرنسية.

كما عقد المجلس عدة ندوات وطنية وعربية ودولية وموائد مستديرة حول المسائل السابقة تم تدوين خلاصاتها ونشرها وتوزيعها بالمجان داخل الجزائر وخارجها، بعضها في صورة دفاتر الجيب، وبعضها الآخر دراسات فازت في المسابقات التي يعقدها المجلس كل سنتين في عدة موضوعات من بينها علوم العربية والطب والصيدلة والاقتصاد والاستشراف والترجمة المجموع يصل إلى ٨٠ إصدارا خلال السنوات الخمس الماضية بما فيه مجلته الدورية النصف سنوية.(محمد العيد ولد خليفة،٢٠٠٩، ٤٤-٤٥)

رابعا: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واعلامها في نشر وترقية اللغة العربية

١-مكانة اللغة العربية في مشروع الجمعية:

فالحديث عن تجربة حركة الإصلاح في الجزائر، لا يخرج عن التجربة الرائدة والفريدة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهي –حقيقة- عنوان هذا المسار الطيب الذي سرى في جسد العالم الإسلامي كله، وأدى أعظم الوظائف في سبيل تحرير هذه الأمة من ربقة المشاريع الاستعمارية الغربية، تعم إن جمعية العلماء كانت عنوان هذا المسار، مسار حركة التجديد والإصلاح، لأن تراثها الخالد ونتاجها الواضح دل على ذلك، وما نعيشه اليوم من مفاهيم تجديدية ورؤى سليمة لحقيقة هذا الدين، ما هو إلا تلك الجهود الرائعة والنضالات الكبيرة التي عرفتها الجزائر في عز جبروت الاستعمار الفرنسي وأذنابه من بني جلدتنا، ولو الجهود والنضالات التي مازلنا نقتات منها، لما عرفت الجزائر معنى الانتماء الحضاري، وأدركت حقيقة صون الذات وإظهار الخصوصية الحضارية، فالمشروع الاستعماري الغربي، سحم كل حديث عن الخصوصية والهوية، وأبرز للوجود خطابا حديا متطرفا، أعاق مسيرة الشعب الجزائري في أن يحي معاني ومفردات الهوية الحضارية، التي تتمتع بها شعوب العالم آنذاك، وهو ما دفع الشيخ ابن باديس وثلة من العلماء الأفذاذ إلى كسر

هذا الحاجز الذي يقف حائلا دون تحقيق معنى الانتماء الحضاري، فظهرت في لحظة تاريخية فاصلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاملة مشروعا استثنائيا قاطعة حالة الوصل ما بين جمود واستكانة للاستعمار، ووضع جديد بدأ رسميا يوم ٠٥ ماي ١٩٣١م، معلنة للعالم كله وفي مقدمه الاستعمار الفرنسي الغاشم، إن الشعب الذي احتفلتم بمرور مئة عام على استعماره واغتصاب أرضه، لم يعد ذلك الشعب المستكين، بل آن الأوان ليقول: "لا" التي تعني أكثر ما تعني في مشروع جمعية العلماء، رفض الجهل والتخلف، وحتى ثقافة المستعمر ولغته، لذا كانت مفاهيم الهوية والانتماء الحضاري والتمسك باللسان والدين، هي مجمل مفردات مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

نخرج عن إطار التعليم والتثقيف والإرشاد، فعرفت الجزائر وعبر ربوع وطننا الحبيب مدارس التربية والتعليم، في المدن والقرى، وبدأت اللغة العربية – عنوان هويتنا- تزاحم لغة المستعمر التي فرضها فرضا في التعليم والإدارة وكل شؤون البلد حتى كادت معالم لغة القرآن تضيع في هذه القطعة المهمة من جغرافيا العالم الإسلامي، إلا فيما حافظت عليه بعض الزوايا والمدارس القرآنية، من مستوى تعليمي بسيط ابقى لهذه اللغة بعضا من معالمها، واتخذت الجمعية مسألة التربية والتعليم مرتكز مشروعها، فأنشأت المدارس الاصلية التي جمعت بين التربية والتعليم وبين الأصالة والحداثة، فكانت النخب المثقفة ممن حمل لواء بناء الوطن المحرر بعد الاستقلال، أغلبها ممن تلقى تعليمه في مدارس الجمعية.

لقد كانت مسألة اللغة محسومة في فكر الجمعية، فلا حديث عن مفاضلة بين لغة مقتدرة معرفيا وأخرى ليس لها من حظ في تطور العلم الحديث، إلا ما كان من غابر عهد قديم، كانت الأمة الإسلامية سيدة العالم سياسيا وثقافيا، بل الحديث كل الحديث بين لغة تمثل هوية هذا الشعب ولغة المستعمر الذي سعى ويسعى لطمس كل معلم من معالم الانتماء الحضاري لهذا الشعب، فمنطق الحسم لم يكن اختيار، بل كان مبدأ أصيلا تشربه رجال الجمعية منذ تبنوا قضية الإصلاح وعرفوا أدبياته مع مدرسة الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.

لم تكن اللغة العربية غريبة عن هذه الأرض ولم تكن دخيلة كفريمتها لغة الاستعمار، بل هي كما يصفها العلامة الشيخ البشير الابراهيمي في مقال له شهير تحت عنوان: "اللغة العربية في الجزائر": "اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها، وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام، على ألسنة الفاتحين، ترحل برحالهم، وتقييم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الافريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية، لا تريم ولا تبرح، ما دام الاسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتتساغ في الالسنة واللهوات، وتتساب بين الشفاه والأفواه، يزيدها طيبا، وعذوبة أن القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم".

وقال في مقام آخر بعنوان: "التعليم العربي": "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه الأمة الجزائرية، حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلمها. فكيف إذا اجتمعا. حق من حيث أنها لغة دين الأمة بالحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس، والدين معا. ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية".

وقال في مقال آخر: "إن العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد، فلينظر أدعياء العروبة الذين لا يريدون ألسنتهم على بيانها، ولا يريدون أفكارهم على حكمتها في أية منزلة يضعون أنفسهم".

أكتفي بهذه النقول للشيخ البشير الابراهيمي، لأنها تلخص فلسفة المشروع الحضاري الذي أرادت جمعية العلماء أن تخدم به دينها وأمتها به، ولو أردنا نصوصا أخرى للتدليل على مكانة العربية في هذا المشروع العظيم، لأتينا بالكثير منها، وليس الابراهيمي وحده من كتب ونظر حول مسألة اللغة، بل كل رجال الجمعية كتبوا نصوصا راقية وعالية المستوى، في تمجيدها وتعميقها في الواقع الجزائر، كل ذلك عبر التجربة الإعلامية المتميزة والرائدة من خلال تلك الموسوعات الجامعة لجرائد ومجلات الجمعية، التي خدمت مسألة الهوية والثقافة العربية في

الجزائر.(جريدة البصائر،٢٠١٥، ٠١)

٢-دور اعلام الجمعية في نشر وترقية اللغة العربية

لقد أولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية كبيرة لمسألة اللغة، فعملت على نشرها وترقيتها واستخدامها في كل شؤونها، وقد تجلى هذا أكثر ما تجلى في وسائل إعلامها، التي كانت كلها ناطقة بلغة الضاد، إلا مجلة "الشاب المسلم" التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، وقبلها جريدة "الدفاع"، فكل ما وصلنا من فكر الجمعية ونضالها كان عن طرق وسائل إعلامها، فأكثر ما يتجلى نشر العربية وتطويرها في الواقع الجزائري، هو استخدامها الواسع في جرائد ومجلات الجمعية، فمقالات ابن باديس والابراهيمي والعقبي والميلي، وتوفيق المدني وغيرهم من علماء الجمعية، كانت تحمل ثراء لغويا قرأه واستفاد منه ذلك الجيل الذي عايش مسيرة الجمعية، وقد كان هذا من الأهداف المسطرة منذ البداية، فإحياء اللسان العربي كان إلى جانب الدين الإسلامي، والوطن الجزائري مكونا لذلك الشعار الخالد: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".

ولعل ذلك الجيل قرأ ونقرأ نحن معه اليوم ما كتبه الابراهيمي في مجلة الشهاب –الجزء التاسع، المجلد التاسع- غرة ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣م، يقول الابراهيمي: "ان جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويهما مكانة وهما: إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية"، ويتابع الشيخ شارحا الغاية الثانية قائلا: "وأما إحياء مجد اللسان العربي، فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته، لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم، لأنه لسان محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم- صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنساني الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنه لسان تاريخ هذا الدين ومجلي مواقع العبر منه، ولأنه –قبل ذلك وبعد ذلك- لسان أمة شغلت حيزا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها ...".

لقد أدت وسائل الاعلام التابعة لجمعية العلماء دورا كبيرا في الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر، إلى جانب الوسائل الأخرى التي اتخذتها الجمعية من دروس محو الأمية، وتحفيظ القرآن في الكتاتيب، وتدريسها في المدارس التابعة لها، إلقاء المحاضرات والندوات وأسمار الأدب والشعر.

يقول الإمام المؤسس الشيخ عبد الحميد ابن باديس: "قد فهمنا –والله- ما يراد بنا، وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة عزمنا وسنمضي –بعون الله-في تعليم ديننا ولغتنا، رغم ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا. وإننا على يقين من أن العاقبة – وإن طال البلاء-لنا، وأن النصر سيكون حليفا، لأننا قد عرفنا –إيمانا-وشاهدنا- عيانا –أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما".

ويكتب الامام في جريدة البصائر –العدد ٨٣ سنة ١٩٣٧م قائلا: "حوربت فيكم العروبة حتى ظن أن قد مات منكم عرقها، ومسخ فيكم نطقها، فجئتم بعد قرن، تصدح بلادكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها، فتدك الحصون والمعاقل، ويهز كتابكم أقلامها، فتصيب الكلى والمفاصل".

واختم بكلمة جامعة لشيخ العربية وأمير بيانها الشيخ البشير الابراهيمي، فيما حققته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجتمع الجزائري، من تثبيت دعائم اللغة العربية فيقول –رحمه الله- هذا بعض ما قدمته جمعية العلماء للعروبة من صنائع لهذا الوطن، تفخر به في غير من، وتجود به من غير ضن، ولولا الحياء لقالت أكثر من ذلك و لتحدت كل العاملين في الشرق العربي لرفعة العربية وإعلاء شأنها بين اللغات بأنها عملت لها أكثر مما عملوا لها وهم أحرار آمنون، في بلد لسانه وجنسه عربيان وحاكمه ومحكومه عربيان، وعملنا لها تحت تأثير زمجرة الاستعمار ودمدمة أنصاره، وأنقذناها من بين أنيابه وأظفاره". (جريدة البصائر،٢٠١٥ ، ٠٢)

المحور الرابع: واقع اللغة العربية في الجزائر

أولا: موقع اللغة العربية في حياة الجزائريين

تعاني اللغة العربية في الجزائر من هيمنة الفرنسية في المجالات الحساسة ولا سيما الإداري والصحي والتقني، ومن تمكن اللهجات المحكية وطغيان الحرف اللاتيني عليها في وسائل الاتصال الاجتماعي، حيث لم يعد للغة العربية شأن كبير في حياة

الجزائريين، لانشغالهم بما يخدم واقعهم العملي والمهني، فطغت العامية ومختلف اللهجات على اللغة الفصحى لسهولة الأولى وخفتها على اللسان، وهي أقرب إلى سوق العمل، وكان لهذه اللهجات تأثير بالغ حتى على تعلم اللغة العربية الفصحى. فما هي أسباب عجز اللغة العربية عن التحليق في فضاءات العصر؟ ولماذا تألقت في الماضي وانحصرت في وقتنا الراهن؟ وهل العلة فيها أم في أبنائها؟

١-اللغة العربية والحضارة:

لم نعد نشارك الحضارة الإنسانية بمشاركة فاعلة، وصار همنا الوحيد هو التقليد على حد قول "ابن خلدون" في تقليد الغالب على المغلوب؛ بأن المغلوب من طبعه أن يقلد الغالب، وهذا ما قاله كذلك العالم الألماني "شلنقرا chelingrat" في نفس هذا الطبع. وقد نجد نفس الطبع في كل الدول العربية المستعمرة، فما يرجوه المستعمر هو توطيد لغته لكنه لا يجب أن نجحد الصلة التي تربط اللغة بالحضارة والتي "... تتضح في مجال التأليف والترجمة ..."؛ فاللغة العربية قادرة على التعبير عن الحضارة ونقلها بأحلى الصور. ورغم التحول الذي عرفته الجزائر في اتخاذها الاتجاه الفكري والثقافي بتوسيع القطاع التربوي وإنشائها المدارس وجامعات اللغات، أضحت اللغة العربة في صراع طويل والنتيجة هي أنها بقيت كما هي، ولم تشارك فيه اللغة العربية بنسبة معتبرة، ولعل السبب هو أن عباقرة الأمة جادت مادتهم الرمادية باختراعات أو اكتشافات أثروا بما وضع لها من مصطلحات قواميس الغرب الذي عرف كيف يستفيد منهم ووضع أمامهم الوسائل التي حرموها في أوطانهم. وهم معذورون في ذلك ويصدق فيهم المثل الألماني: من يطعمني خبزه أغني له أغنيته. (أحمد مطلوب،٢٠٠١، ٥١)

٢-اللغة العربية والتكنولوجيا:

بلا شك أن التكنولوجيا الرقمية عندما دخلت بلادنا حملت معها ما يخدمها من ألفاظ ومصطلحات، فكان تعامل (شباب الفايسبوك) مثلا مع هذه المصطلحات بنفس الألفاظ الخاصة بها مما جعل عملية الاتصال باللغة العربية مزيجا باللغة الأجنبية. فلا بد أن يتم التعريب لهذه التكنولوجيا ولمصطلحاتها.

لقد قام المجمع الجزائري للغة العربية بأعمال كبيرة لإعطاء البحث اللغوي الطابع الحديث الذي يتأقلم مع ميدان تكنولوجيا اللغة العالمي، وكانت له جهود كثيرة حول تعريب التكنولوجيا. ولولا المجامع العربية ما وصلت إلينا هذه المعاجم المفيدة والعظيمة وما انتقلت إلينا المصطلحات العلمية منذ أكثر من قرن. والنقد الموجه إلى المصطلحات الحديثة هو أن أغلبها يفتقد إلى الدقة والوضوح، كما أن اختيار المصطلح العلمي لا يراعي معطيات العلوم اللسانية الحديثة، ومنهجية العلوم الاجتماعية. إذ كان من الأجدر أن تؤخذ المصطلحات بالمعنى العربي والمصطلح العربي، وإلا يؤخذ في أضيق الحدود ثم تعمل فيه اشتقاقات. فالتعامل مع هذه المصطلحات يكون بأحدث تعريب للغة الأجنبية. (عبد الرحمان الحاج صالح،٢٠٠٥، ١١-١٢)

٣-اللغة العربية والإنتاج العلمي:

لا يجب أن نؤمن إيمانا قاطعا –منذ أكثر من خمسين عاما-بعدم وجود إنتاج ثقافي وعلمي في بلادنا، ففي مطلع هذا القرن وإن كان لدينا كبار الأدباء والعلماء كـ "محمد العيد على خليفة"، وابن باديس، ومالك بن نبي، والبشير الإبراهيمي، وغيرهم كثير، الذين ساهموا ليس فقط في بناء النهضة العربية، وإنما تركوا بصمة في الثقافة العالمية، وإن كانت أعمالهم نبيلة فيبقى حال وواقع العربية في بلداننا لا يرثى لها. ولا يجب أن نضع اللوم إلى الاستعمار فحسب؛ فهناك من صمد في وجهه. ثم إن الهيمنة الثقافية لم تسيطر كليا علينا.

وإذا أردنا أن نراقب التاريخ نجد أن سبب تدهور اللغة العربية في الجزائر كان سياسيا، فكيف نرقي هذه اللغة ونحن نخاف التكلم بها ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر من عام ألفين وواحد. وما يؤسف له هو أن يصل الحد بالجامعي –اليوم-إلى أن يقلل من شأن العربية، وينظر إليها من زاوية محتقرة، كونه لا يدرك قيمة اللغة مهما كان أصلها، ولأنه لا يعي جيدا خطورة الوضع الذي هو عليه كمثقف جامعي، ولا يعرف الدور المنوط له كإطار هو مستقبل البلاد.

إن للأحداث السياسية السريعة في العالم تأثيرا واضحا على مصير اللغة العربية لدى الشعوب العربية وغير العربية، فغابت النظرة القديمة إلى العربية التي كانت مفخرة الفكر العربي، وأضحت في يومنا هذا لغة ينظر غليها نظرة احتقار، لأن هم الغربيين ولا سيما بعد أحداث سبتمبر السالفة الذكر هو القضاء على

اللغة العربية وتشويه مستعمليها، وقذفهم بشتى الصفات للتخلي عن الأصالة واحتضان ثقافتهم التي يغرون بها طلبتنا في مختلف الجامعات الغربية.(صالح بلعيد،٢٠٠٣، ٢٠٢)

٤-موقع اللغة العربية في حياة الجزائريين:

اللغة العربية في مهب عصر التكنولوجيا والعلوم، و "لغتنا لا تناسبنا عمليا" وعلاقة الشباب باللغة العربية هي علاقة ملتبسة غير واضحة؛ فبعد ابتعادهم عن لغة لا تواكب العصر ابتكر شبابنا كباقي الشباب في العالم العربي لغة بديلة يتخاطبون بها عبر الانترنيت، فكانت تحفظاتهم على اللغة العربية كثيرة كونها لغة غير عملانية. كما يرون بأنها لغة الدين في المقام الأول، والمؤسف له هو أن خريجي المدارس الحكومية والجامعات هم الذين يتعصبون لهذه اللغة، فلماذا ننفر من هذه اللغة وهي راقية في حد ذاتها؟

ينظر إلى اللغة العربية على أنها معقدة يصعب التعامل بها إزاء مختلف المواقف، كاستعمالها في أسواق العمل، إذ لابد من تبسيط أشياء كثيرة فيها خاصة ضرورة تيسير النحو والبلاغة. كما أن سوق العمل يتطلب من المتحدث استعمال اللغة الإنجليزية لمجاراة العمل بعد استقطاب الشركات الأجنبية للاستثمار في الجزائر.

لا يجب أن نخسر لغتنا ونحن نقدر على اكتسابها. والتحدث بالعامية لا يشكل عائقا في ترقية اللغة العربية في نظري؛ فتكلم العامية وأحسن كتابتها.

أما قضية علاقة اللغة بالدين، فنحن عرب أو أمازيغ عربنا الإسلام. أما القرآن الكريم فحافظ على اللغة العربية، وهو الذي أعطاها هذا العمق المتمثل في البلاغة، ولا يجب أن نحصر اللغة فقط بالقرآن. فاللغة هي الإنسان، وهي الحياة لأن رقي الأمة يقوم على الهوية ولا هوية بدون رقي.(الحاج صالح،٢٠١٠، ١٣)

ثانيا: واقع اللغة العربية في الجزائر وسبيل النهوض بها

١-واقع اللغة العربية في الجزائر:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن، لغة التاريخ ولغة الأصالة، لا ينكر أحدا أبدا أنها رابط متين بتاريخ مجيد لأمة عظيمة اسمها "أمة الإسلام".

لقد خفت بريق هذه الأمة وتقهقرت سنوات طويلة نحو الوراء، تاركة المجال لحضارات أخرى تلعب دورا هاما ومؤثرا في هذا العالم، ما كان أبدا يليق بأمتنا العظيمة أن تتنازل عن هذه المكانة السامقة، ولكنها حقيقة يجب علينا التسليم بها بكل أسى وألم.

إذا أردنا أن نتكلم عن أمة ما، عن تاريخ ما، عن حضارة ما، لابد من ذكر عاملها ومقومها الأساسي وهو اللغة ولسان القوم، ففيها المخزون الثقافي والقيمي، والأبعاد الحضارية لها، لذلك فإن اللغة ركيزة الأمم وسبيل لنهضتها ورقيها.

في الجزائر دين الدولة هو الإسلام ولغتها الرسمية العربية إلى جانب الأمازيغية كلغة وطنية، وهو تنوع جميل يعكس شعبا عريقا فيه تفاصيل كثيرة تسهم وبدون أدنى شك في زيادة متانة بلدنا، وتعطيه زخما أكثر فأكثر.

إن هذه اللغة العربية ما تزال تراوح مكانها، كلما تقدمت خطوة تراجعت خطوات كثيرة إلى الوراء، كيف لا ولحد الآن ورغم وجود من أسهم منذ الاستقلال في إرساء دعائمهم، إلا أننا نحس دوما أنه مازال ينقص الكثير والكثير في هذا المضمار، والأدهى والأمر هو سيطرة ليست بالبسيطة للغة أجنبية اسمها "الفرنسية" على الساحة في هذا البلد، فلحد الآن لم تأخذ لغتنا ما تستحق وما يجب من دورها الفعال المنوط بها.

لا ننكر أننا قطعنا أشواطا لابأس بها عن طريق التعريب، مع محاولة الرسكلة لمبلغي لغتنا في سبيل إزاحة اللسان الفرنسي قليلا، رغم أن المهمة لم تكن على الاطلاق سهلة وسلسة، كيف لا وجزائرنا ظلت تحت هيمنة استعمارية شملت أدق التفاصيل وحاولت طمس الكثير من ملامح الهوية الوطنية، كي يتحقق حلم وهمي شعاره أن "الجزائر قطعة لا تتجزأ من فرنسا"، لكن الجزائر بقيت صامدة أمام هذه المحاولات الفاشلة دامت على مر سنوات طويلة قاربت ١٣٢ سنة.

لو تأملنا في معاملاتنا الإدارية لوجدنا "اللغة الفرنسية" سائدة، ولو ألقينا نظرة خاطفة على منتجنا الثقافي لوجدنا الكثير منه بهذه اللغة أيضا، بل حتى لساننا العادي اليومي نجد فيه الكثير من المصطلحات الفرنسية، إليكم أمثلة عنها: مدرسة = ليكول، سيارة = طومبيل، رصيف = تروتوار ....، والأمثلة لا تعد ولا تحصى، هنا أطرح السؤال الآتي: لماذا نعمد إلى إدخال تلك الكلمات في حواراتنا اليومية؟ أنشعر بالخجل من استعمال لفظ عربي فصيح؟

نعم اليوم أصبحت لغة الضاد مدعاة

للخجل وربما وصمة تخلف، كيف لا وإن حاولت التكلم بها بطلاقة أمام الناس لرمقوك بنظراتهم المستغربة المتعجبة، وقد يعتقدون أنك من عصر مغاير لعصرهم، أما إن تعاملت باللغة الفرنسية فستعطي لك مكانة الإنسان المثقف المتحضر المساير لعصره، ودليلي في ذلك جرب استعمال كلتا اللغتين في الدوائر الحكومية وسترى كيف ستعامل بشكل مختلف.

أنا لا أطالب من أن يستعمل كل منا اللغة العربية بشكل كامل، فذلك صعب ومستحيل المنال، لظروف فرضتها المرحلة التي تعيشها الأمة ككل، إنما ما يحز في النفس أننا رضينا بالدنية في لغتنا، الأمر المؤسف أن بيننا أقواما قد يتبرمون من إتاحة الفرصة لها، رغم أنها لغة أعظم كتاب أنزل على رسولنا صلى الله عليه وسلم، فلو تجاهلناها أكثر ستخفى علينا كثير من معاني هذا الكتاب العظيم.

٢-سبيل النهوض باللغة العربية في الجزائر:

كي ننهض بهذه اللغة يجب علينا أولا النهوض بأمتنا، فالأمة هي التي تفرض لغتها ومنطقها في هذا العالم الفسيح، أمتنا لها صولاتها وجولاتها على مدى تاريخها المشرق اين كانت الأقوام تتهافت على تعلم واتقان لغتها، خير مثال على ذلك في الأندلس أين عشق ذلك الشعب جمالية حرفها وروعة أسلوبها وصدق الأحاسيس وبحق لغة: الثقافة والعلم والطب ....، فأنتجت لنا إبداعات وروائع مازال العالم الغربي لحد الآن يقتبس من أنوارها.

لسنا هنا في مقام البكاء على الأطلال، فذاك مجد قد ذهب وولى ونحن أبناء اليوم كما يقال، لقد ابتعدنا نوعا ما عن حقيقة وجودنا، نسينا أنفسنا، نسينا مجدنا، نسينا أصالتنا، للغة العربية رونق لا مثيل له في أي لغة من لغات العالم الأخرى، لغتنا لغة جميلة بديعة راقية ذات سحر آخاذ وساحر للقلوب، تحتاج هذه اللغة لإسهامات منا كي تدخل عالما أصبح العلم والتكنولوجيا سيده وقائده، في بلدنا الجزائر علينا أن ندرك أهمية هذه الإرهاصات إدراكا يجعل همتنا عالية في الاهتمام بها، تعلم اللغات الأجنبية أمر لابد ولا مفر منه، لكن أبدا لا يكون ذلك على حساب حاضنتنا الأساسية.

يخطئ من يعتقد أن إعادة الاعتبار لها سيكون بمجرد جرة قلم، قطعا لا، إنما يكون ذلك بوعي غير متناه لضرورتها وحتميتها تجاه واقعنا وكينونتنا، لو أغفلناها أكثر، لو بقينا معرضين عنها سنفقد بوصلتنا الحقيقية، فمهما يكن نحن شعب مسلم وسنبقى كذلك و "اللغة العربية" هي الرابط المتين والميثاق الغليظ لهذا الانتماء، يجب علينا أن نتخلص من ركاكة لسان سيطر على ألسنتنا، إن المسؤولية الكبرى تقع على الجميع من مسؤولين ومثقفين وأساتذة ...، وكل من له ارتباط بفعاليتها.

الإسلام اللغة العربية من مقوماتنا الأساسية، إن أرسينا دعائمها ارتفع صيتنا في هذا العالم، كم بقي راسخا في أذهاننا مشهد الرئيس الراحل هواري بومدين وهو يخطب في الأمم المتحدة بذلك اللسان العربي الفصيح، فكان ذاك مدعاة للفخر والعز حقا، ودليل على أن لنا وجود مؤثر.

كم نتمنى أن يعود ذلك الزمن الجميل، الزمن الذي تعود فيه اللغة العربية رائدة في شتى المجالات، لابد علينا أن نسعى ونجتهد ونثابر في سبيل تحقيق ذلك، لأنه إن بقينا بهذه الروح الانهزامية المترددة ورضينا بمقعد الخوالف، سنترك المجال لأمم سادت هذا العالم وهي الآن تتبادل الأدوار فيما بينها ونبقى نحن في موقف المتفرج، وهذا ما لا يليق بنا ولا نرضاه لأنفسنا بكل تأكيد.(أسامة طبش،٢٠١٣، ٠١)

خلاصة:

إن العناية بلغتنا الجميلة لا يعني الاكتفاء بتمجيد الماضي أو الهروب فكرا أو لسانا إلى الآخر، بل يحتاج إلى إرادة سياسية تثمن جهود العلماء والأدباء في الجامعات والمخابر، ومراكز البحث العلمي، وإلى تحديث مناهج ومضامين التربية والتكوين، وتوفير الشروط لاستعادة (الكفاءات) المتواجدة في المهجر، ووضع استراتيجية بعيدة المدى لا تخضع للأمزجة الشخصية لتدارك الفجوة التي تفصلنا عن العالم المتقدم وتوطين المعرفة تمهيدا لإنتاجها بلغتنا العربية الجميلة، واعتبار ذلك من متطلبات الأمن الوطني، ولا شك أن من أهم شروطه دعم الانسجام والتجانس الثقافي اللساني بين كل فئاته، واحترام الخصوصيات المحلية من ثقافات وألسنة فرعية تنهل من تاريخ مشترك، وهوية جامعة يعتز الجميع بالانتماء إليها وجوهرها مثلت الإسلام والعربية والأمازيغية المتمازجة في ضمير الإنسان الجزائري ماضيا وحاضرا، ويبقى اللسان العربي على مستوى المنطقة مغربا ومشرقا آخر المعالم الجامعة للعالم العربي قبل وبعد التمايزات الإيديولوجية والسياسية

والمذهبية القديمة والحديثة في منطقتنا.

ولعل من الشجاعة الفكرية والأخلاقية أن نشير إلى أن الكثير من الدراسات الميدانية تنبه إلى ما تعانيه اللغة العربية في معظم البلدان العربية من تقهقر وتهميش ومزاحمة العاميات القطرية حتى بين المختصين في لسانها وآدابها وتفضيل اللغة الأولى للعولمة أي الإنكليزية والمعاقل القديمة للغة الفرنسية.

لقد صمدت العربية في مواجهة المد الكولونيالي في أحلك المراحل التاريخية عن طريق النضال الشعبي والمؤسسات التقليدية، وهي اليوم في حاجة إلى النهوض بواسطة حماية الدولة والمجتمع لها، وبقدرتها على المنافسة في عالم القرن ٢١ بما تنتجه نخبها العالمة والمبدعة في مجالات العلم والثقافة والفنون الجميلة والآداب باللسان العربي، وبما ينقل إليه عن طريق الترجمة، وهي تعتبر في كل اللغات والثقافات بمثابة الأكسجين الذي ينمي الرصيد المعجمي وينعش الخيال الإبداعي ويزيد من التراكم العلمي.

التوصيات:

فهذه بعض المقترحات والتوصيات نقدمها في ختام هذا العمل، عسانا نسهم مع المساهمين الجادين في خدمة لغتنا، وتسهيل السبيل لها لتقوم بما وجدت من أجله:

١-الاعتناء بتلقين النشء اللغة العربية بالطرق السليمة، منذ الصغر، كتعليمهم قراءة القرآن وحفظه في سن مبكرة، وتحفيظهم نصوصا عربية فصيحة: أحاديث نبوية وأشعارا، وتوفير نصوص نثرية فصيحة أمامهم. هذا ما يفيدهم في تقوية ملكتهم اللغوية، ويربطهم منذ البداية بأصولهم الحقيقية. فتلقين الطفل لغة سليمة خالية من الأخطاء، وعلى أصول صحيحة، تكون فيه القاعدة اللغوية الصلبة التي يبني عليها صرحه العلمي. الإغفال عن هذه الملاحظة ينتج لنا هذا الفرد الضعيف الذي نعانيه ونعايشه اليوم.

٢-في اختيار نصوص القراءة في المرحلة الابتدائية –بخاصة– يجب مراعاة توزيعها: بين ما يعني بالجانب المعرفي، وما يعني بما يعين على تكوين ملكة الإبداع والتمرن على الكتابة الفنية الأدبية، كالموضوعات التي تهتم بالوصف يوسع دائرة الخيال في التلميذ، ويدفعه إلى إعمال عقله، فتتكون فيه حاسة تذوق الأدب، فيقبل على اللغة العربية. شرط أن تكون النصوص المقترحة منتقاة بعناية ودراسة معمقة، تخدم الغرض من تدريس الأدب، وتعين على التمرن على اللغة العربية.

٣-تدريس (خصائص اللغة العربية) على مستوى التعليم الثانوي، يتناول نبذة عن تاريخ العربية، وتميزها بقدمها واستمرار تطورها ونموها مع محافظتها على ملامحها الأصلية، وعن حقبة ازدهارها وثبوتها في زمن تداعي البلاد وضعفها، وخصائصها المميزة بشمولية حروفها واصواتها، ووفرة مفرداتها وثرائها بالمترادفات، وكثرة أبنيتها الاشتقاقية، مما يوفر طواعيتها للاصطلاح العلمي، وعما شرفها به تعالى من إعلاء شأنها في كتابه العزيز، وأقوال العرب والمسلمين والأجانب فيها، ليتعرف الطلبة أهميتها ومكانتها؛ فيعتزوا ويتمسكوا بها.

٤-تأسيس نواد، وتكوين جمعيات على مستوى المدارس المتوسطة والثانوية والجامعات، تعنى بالتدريب والتطبيق على موضوعات اللغة العربية وآدابها، تكون فيها الخطابة والمناظرة والمحاورات الفصيحة فيها، أو الاجتهاد في استعمالها، في مرحلة التدريب؛ لتتكون في الطلبة الملكة.

٥-إقامة مسابقة سنوية في المناظرة باللغة العربية بين الطلاب المتخصصين في اللغة العربية وآدابها في الجامعات ومراكز اللغات؛ تقوية للأداء الإلقائي في اللغة العربية، وتكون هذه المسابقات بين مستويات مختلفة للناطقين بالعربية وللناطقين بغيرها.

٦-تنظيم دورات مستمرة للمعلمين والأساتذة عامة، ومدرسي اللغة العربية خاصة، لتطوير معارفهم اللغوية، وتحسين أدائهم المهني، حتى يؤدوا عملهم على أحسن ما يكون. ويكون الأمر أكثر إلحاحا مع الدين درسوا في الدول الغربية، ولم تتوفر لهم الفرص الكاملة لتعلم اللغة العربية، التي يحتاجون إليها، ونحن ندعو إلى التوجه إلى تدريس العلوم في جامعاتنا –بخاصة– باللغة العربية.

٧-إشاعة اللغة العربية في المحيط الذي يتحرك فيه العربي. إذ لا ينبغي أن يحس أن اللغة العربية غريبة عنه في البيئة التي يعيش فيها. فلا تكون لغته (الأم) لغة المناسبات والمقامات

المحددة، ولغة أداء الفرائض الدينية فحسب، أو لغة خاصة بفئة دون فئة .. يجب أن يشعر كل عربي أنها جزء من كيانه، وبعض منه، وأنها بمكانة الدم الذي يسري في جسده، فقدانه لها يعرض نفسه للهلاك والفناء.

المصادر والمراجع المعتمدة:

-القرآن الكريم.
-أحمد مطلوب، (٢٠١١)، دور اللغة العربية في الاشعاع الحضاري، مكانة اللغة العربية بين اللغات، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
-المجلس الأعلى للغة العربية الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الطبعة الأولى، الجزائر.
-جماعة من الباحثين، اشراق صالح بلعيد، لغة الصحافة، الطبعة الثانية، دار الأمل، جامعة مولود معمري، تيزوز، الجزائر.
-جميلة راجا، (٢٠٠٩)، اللغة العربية العاميات واللغات الأجنبية، واقع وتحدي، مقال منشور في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
-صالح بلعيد، (٢٠٠٠)، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار همة، الجزائر.
-عبد الرحمان الحاج صالح، (٢٠٠٥)، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، الجزائر.
-عبد العزيز بوتفليقة، (٢٠٠٩)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
-عبد الوهاب دربال، (٢٠٠٢)، اللغة العربية في الهيئات الدستورية، الجزائر.
-على أحمد مدكور، (٢٠٠٩)، تدريس فنون اللغة العربية (النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن.
-على أحمد مدكور، الاهتمام باللغة العربية، موسوعة سفير لتربية الأبناء، المجلد الأول، الجزائر.
-مصطفى الغلاييني، (٢٠١٣)، تحقيق وفهرسة أحمد زهرة، جامع الدروس العربية، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
-صادق بن محمد الهادي، (٢٠١١)، أهمية اللغة العربية ومميزاتها، شبكة الألوكة، قسم الدراسات والأبحاث، دراسات أدبية ونقدية، ثم الاطلاع عليه يوم ٢٠١٥/١٢/١٨ من الموقع:

http : www. Alukah. net/publications___competitions/٣٦٠٩٧ /٠

-أبو شرف تواتي، (٢٠١١)، أهمية اللغة العربية وضرورة التحدث بالفصحى، منتديات حدائق المعرفة التواتية، حديقة الأدب، قسم اللغة العربية، تم الاطلاع عليه يوم ٢٠١٥/١٢/١٨، من الموقع التالي:

http : www. Hadaik. com/vb/ Showthread. Php t=٥١٣٤.

-أسامة طشي، (٢٠١٣)، واقع اللغة العربية في الجزائر، وسبيل النهوض بها، مقال منشور في صحيفة الوطن الجزائري، تم الاطلاع عليه يوم: ٢٠١٥/١٢/١٨، من الموقع التالي:

http : www .elwatan dz. com/ algerie/ ٨١٩٣. html

- جريدة البصائر، (٢٠١٥)، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر اللغة العربية في الجزائر، تم الاطلاع عليه يوم: ٢٠١٥/١٢/١٨ من موقع الجريدة التالي:

http:// www١. Albassair. org/ moduls. Php name= News&file =article&sid= ٤٢٨٦.

-فرحان سليم، (٢٠١٥)، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، مقال منشور في الشبكة المعلوماتية، تم الاطلاع عليه يوم: ٢٠١٥/١٢/١٨، من الموقع التالي:

http :www. Saaid.Net/ Minute/ ٣٣.htm.